المكان ، الصورة ، والدلالة
((رواية موت صغير لمحمد حسن علوان نموذجاً))

الباحثة
سميرة ردة حسين الحارثي

العدد الحادي والعشرون
للعام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م
الجزء الرابع
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٧م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

((ثقة به .. وتوكلاً عليه))

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

المبحث الأول

التَّعريف برواية

((موت صغير))

المكان ، الصورة ، والدلالة

((رواية موت صغير لمحمد حسن علوان نموذجاً))

المبحث الأول

التَّعريف برواية " موت صغير"

" موت صغير" رواية للروائي السعودي محمد حسن علوان .صدرت الرواية لأوّل مرة عام ٢٠١٦م عن دار الساقي في لندن .ودخلت في القائمة النهائية "القصيرة "للجائزة العالمية للرواية العربية لعام ٢٠١٧م، وهي النسخة العربية لجائزة "بوكر" العالمية للرواية .في عام ٢٠١٧،فازت رواية "موت صغير" للروائي محمد حسن علوان بالجائزة العالمية للرواية العربية في دورتها العاشرة حيث جاء الإعلان عن الجائزة في أبو ظبي عشية افتتاح الدورة الـ ٢٧ لـ «معرض أبوظبي الدولي للكتاب».

رواية الكاتب السعودي "محمد حسن علوان" هذه عبارة عن سيرة روائية متخيّلة لحياة محيي الدين بن عربي منذ ولادته في الأندلس في منتصف القرن السادس الهجري وحتى وفاته في دمشق .تتناول هذه الرواية سيرة حياة مزدحمة بالرحيل والسفر من الأندلس غربًا وحتى آذربيجان شرقًا، مرورًا بالمغرب ، ومصر ، والحجاز ، والشام ، والعراق ، وتركيا، يعيش خلالها البطل تجربة صوفية عميقة يحملها بين جنبات روحه القلقة ؛ ليؤدي رسالته في ظل دول وأحداث متخيّلة، مارًا بمدن عديدة وأشخاص كثر ، وحروب لا تذر ومشاعر مضطربة .[١]

---

(١) عن رواية (موت صغير) لمحمد حسن علوان "،الموقع الرسمي للجائزة العالمية للرواية العربية .

رواية "موت صغير"، بمثابة قصة ورواية حياته وتشكلاته ومنجزاته ومقولاته، التي اتفق معها الكثير واختلف معها الكثير، وأصبحت شخصيته مثار جدل، هذا الفيلسوف العرفاني ، والشاعر الوجداني، جسده الروائي محمد حسن علوان في سلسلة أسفار من حياته، وخاض في جدليَّة مقولاته وحججه المختلف معها والمتَّفق عليها.

وقد ركَّز في بداية الأمر على ولادته ونشأته في الأندلس وسلسلها منذ عام ١٢١١ م، ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّ الروائي كان محترفاً في وضع سيناريو حذق لروايته وحاكيته وهي سيرة وأسفار (ابن عربي) في أحلامه ورؤاه منذ الصغر حتى شبابه، وكيف لفت نظر أبيه وهو يرى رؤياه لقوى الشر وهي تحيط به وتريد له مكروها، حتى جاء الرجل العرفاني الذي خلصه منهم بقراءة سورة (يس).

الرواية، هي الخوض بالعرفان ، والتاريخ ، والفلسفة ، والسياسة ، والاجتماع، لم يكن الروائي حياديًّا في أسفار روايته التي بلغت المائة، بل كان محللاً يسلط سراجه ؛ لإضاءة الجوانب التاريخيَّة ، والاجتماعيَّة، والسياسيَّة التي يروم كشفها والحديث عنها ، والتي تشكِّل هويَّة وشخصيَّة الإنسان العربي، سواء أكان في الأندلس ، أم مراكش ، أم حلب ، أم دمشق ، أم بغداد وحتى في مكة، لقد وظَّف من خلال شخصية (ابن عربي) تكوينات الشخصية المشرقية وهو يتنقل مع بطله في أصقاع الشرق من أرمينيا ، وبلاد فارس ، وتركيا ، وبغداد حتى الجزيرة العربية.

لقد قسم علوان فصول روايته إلى أسفار، وهي مداخل لفلسفة (ابن عربي)، حيث يبدأ السفر بإحدى مقولاته، وقد اختارها بعناية ؛ لتتماشى مع ما يريد قوله أولاً، وما يتحاكى ويتناغم مع فكر (ابن عربي) في مختلف مراحل عمره.

في السفر الأول، وظف مقولة : (إلهي ما أحببتك وحدي لكن أحببتك وحدك)، وقد أرخ الروائي عام ١٢١٢ الميلادي ليكون مفتتحا لروايته، وهذا التاريخ يتمشى مع زيارة ورحلة (ابن عربي) لمنطقة أذربيجان.

وفي هذه المنطقة رسم سيناريو روايته من خلال وصف دقيق للمكان ، وللطبيعة ولهذيانات وأحلام ورؤى (ابن عربي). والحقيقة أنَّ السفر الأول بمثابة سيناريو للرواية بمجملها، وهو المكان اللامكان الذي تنطلق منه الأحداث والكاميرا لتصور أسفاره، أي أحداث الرواية.

في بعض من المقولات التي افتتحت أسفاره وهي فصول الرواية: (الزمان مكان سائل، والمكان زمان متجمد)، و(الخفي في الجلي)، (الممكن برزخ بين الوجود والعدم)، (أنت أيها الإنسان، أنت المصباح والفتيلة والمشكاة والزجاجة)، (اعتزل الناس ليسلموا منك لا لتسلم منهم).

جاءت الرواية في أحد عشر سفرا ، ومائة مقولة ، وختمها بالسفر الأخير.

الرواية حكاية كان ساردها (بطلها) هو محيي الدين بن عربي، اتخذ منه الروائي ساردًا لكلِّ أحداث روايته، أي حياته وهو ميت في قبره، وهو كوخ على قمة جبل، وهي إشارة لعلياء الروح وقربها من بارئها وهي مستكينة في برزخها.

التعريف بالكاتب

محمد حسن علوان، روائي وكاتب سعودي شاب، من مواليد الرياض في ٢٧ أغسطس ١٩٧٩، في الرياض، صدرت له أربع روايات: «سقف الكفاية» ٢٠٠٢، «صوفيا» ٢٠٠٤، «طوق الطهارة» ٢٠٠٧، «القندس» ٢٠١١. كتب مقالة أسبوعية لمدة ست سنوات في صحيفتي (الوطن) و(الشرق) السعوديتين،

ونشرت له صحيفتا (نيويورك تايمز) الأمريكية و(الجارديان) البريطانية مقالات وقصص قصيرة.

تم اختياره عام ٢٠١٠ ضمن أفضل ٣٩ كاتب عربي تحت سن الأربعين، وأدرج اسمه في أنطولوجيا (بيروت ٣٩). رشحت روايته «القندس»، الصادرة عن دار الساقي، ضمن القائمة القصيرة في الجائزة العالمية للرواية العربية (بوكر ٢٠١٣) من بين ١٣٣ رواية مشاركة على مستوى العالم العربي، يحمل شهادة الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة بورتلند في الولايات المتحدة الأمريكية، وبكالوريوس نظم المعلومات من جامعة الملك سعود بالرياض، ويعمل مديرًا لشركة استثمارات في مدينة الرياض..

التعريف بمحي الدين ابن العربي

محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي ، أحد أشهر المتصوفين لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفيين "بالشيخ الأكبر" ، ولذا تُنسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية. ولد في مرسية في الأندلس في شهر رمضان عام ٥٥٨ هـ الموافق ١١٦٤م قبل عامين من وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني. وتوفي في دمشق عام ٦٣٨هـ الموافق ١٢٤٠م. ودفن في سفح جبل قاسيون

ألقابه :

لقبه أتباعه ومريدوه من الصوفية بألقاب عديدة، منها:

- الشيخ الأكبر
- رئيس المكاشفين
- البحر الزاخر

- بحر الحقائق
- إمام المحققين
- محيي الدين
- سلطان العارفين[١]

نشأته:

ولد محيي الدين بن عربي في مدينة مرسية من أب مارسي وأم أمازيغية ، ويعرف عند الصوفيين بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر. وهو واحد من كبار المتصوفة والفلاسفة المسلمين على مر العصور. كان أبوه علي بن محمد من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد ، والتقوى ، والتصوف. وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلمائها، فنشأ ضمن جو ديني. انتقل والده إلى إشبيلية وكان يحكمها أنذاك السلطان محمد بن سعد، وكانت عاصمة من عواصم الحضارة والعلم في الأندلس. وما كاد لسانه يبين حتى دفع به والده إلى أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء، فقرأ عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع وقرأ عليه كتاب الكافي، فما أتم العاشرة من عمره حتى كان ملماً بالقراءات ، والمعاني ، والإشارات. ثم سلمه والده إلى طائفة من رجال الحديث والفقه ، تنتقل بين البلاد واستقر أخيراً في دمشق طوال حياته ،وكان واحداً من أعلامها حتى وفاته عام ١٢٤٠ م.[٢]

ذكر أنه مرض في شبابه مرضاً شديداً ، وفي أثناء شدة الحمي رأى في المنام أنَّه محاط بعدد ضخم من قوى الشر، مسلحين يريدون الفتك به. وبغتة رأى

---

(١) محيي الدين ابن عربي – حياته، مذهبه، زهده – جزء – ٤٩، سلسلة أعلام الفلاسفة
(٢) فاروق عبد المعطي. قرة أهل الحظ الأوفر في ترجمة الشيخ الأكبر للشيخ حامد العمادي (دار الكتب مجاميع)٣٤٤٥.

شخصاً جميلاً قوياً مشرق الوجه، هجم على هذه الأرواح الشريرة ففرقها ولم يبق منها أي أثر فسأله محيي الدين ابن عربي:"من أنت ؟"فقال له الرجل:

" أنا سورة يس. " ، وعلى أثر هذا استيقظ فرأى والده جالساً إلى وسادته يتلو عند رأسه سورة يس.

ثم لم يلبث أن شفي من مرضه، وأتته فكرة أنَّه معد للحياة الروحية وآمن بوجوب سيره فيها إلى نهايتها.

تزوج بفتاة فارسية تدعى نظام وهي ابنة الشيخ أبي شجاع بن رستم الأصفهاني الذي يعد من كبار شيوخ بلاد فارس في حينها. وكانت تعتبر مثالاً في الكمال الروحي ، والجمال الظاهري ، وحسن الخلق، فساهمت معه في تصفية حياته الروحية، بل كانت أحد دوافعه إلى الإمعان فيها. وفي هذه الأثناء كان يتردَّد على إحدى مدارس الأندلس التي تعلم فيها سراً مذهب الأمبيذوقلية المحدثة المفعمة بالرموز والتأويلات والموروثة عن الفيثاغورية ، والأورفيوسية ، والفطرية الهندية. وكان أشهر أساتذة تلك المدرسة في ذلك القرن ابن العريف المتوفى سنة ١١٤١م.

نشأته الروحيَّة :

ممَّا لاشكَّ فيه أنَّ استعداده الفطري ونشأته في بيئة دينية وتردده إلى المدارس الرَّمزيَّة، كلُّ ذلك قد تضافر على إبراز النَّاحية الرُّوحيَّة عنده في سن مبكرة ، فلم يكد يتم العقد الثاني من عمره حتى انغمس في أنوار الكشف والإلهام، ولم يشارف العشرين حتى أعلن أنَّه جُعِل يسير في الطريق الروحاني، وأنَّه بدأ يطَّلع على أسرار الحياة الصُّوفية. وأنَّ عدداً من الخفايا الكونيَّة قد تكشَّفت أمامه، وأنَّ حياته سلسلة من البحث المتواصل عمَّا يحقق الكمال لتلك الاستعدادات الفطريَّة. وبقى عاكفاً حتى ظفر بأكبر قدرٍ ممكنٍ من الأسرار. وأكثر من ذلك أنَّه

حين كان لا يزال في قرطبة قد تكشَّف له من أقطاب العصور البائدة من حكماء فارس والإغريق كفيثاغورس ،وأمبيذوقليس ، وأفلاطون ، وهذا هو سبب شغفه بالاطلاع على جميع الدرجات التنسكية في كل الأديان والمذاهب عن طريق أرواح رجالها الحقيقين بهيئة مباشرة. وألف كتاب (الفتوحات المكية) الذي يمكن تتبع أقواله فيه. (١)

رحلاته :

رسم فارسي يمثل ابن عربي وهو على ظهر الخيل مع اثنين من طلابه

يحكى أنَّ ابن عربي رأى وهو في حالة اليقظة أنَّه أمام العرش الالهي المحمول على أعمدة من لهب متفجر ، ورأى طائراً بديع الصنع يحلق حول العرش ويصدر إليه الأمر بأن يرتحل إلى الشرق ، وينبئه بأنَّه سيكون هو مرشده السَّماوي ، وبأنَّ رفيقاً من البشر ينتظره في مدينة فاس ٥٩٤هـ.

في السنة ٥٩٥هـ كان في غرناطة مع شيخه أبي محمد عبد الله الشكاز فيما بين سنتي ٥٩٧هـ، ٦٢٠هـ الموافق سنة ١٢٠٠، ١٢٢٣ بدأ رحلاته الطويلة المتعددة الي بلاد الشرق فاتجه واستقر في دمشق.

في السنة ١٢٠١ م رحل إلى مكة فيستقبله فيها شيخ إيراني وقور جليل عريق المحتد ممتاز في العقل ، والعلم ، والخلق ، والصلاح. والتُّقى بفتاة تدعي نظام وهي ابنة ذلك الشيخ ، وقد حباها الله بنصيب موفور من المحاسن الجسمية والميزات الروحية. اتَّخذ منها محيي الدين ابن عربي رمزا ظاهريا للحكمة الخالدة، وأنشأ في تصوير هذا الرمز قصائد سجلها في ديوان (ترجمان الأشواق) الذي ألفه في ذلك الحين.

---

(١) جامع كرامات الأولياء للشيخ يوسف النبهاني ١/ ١٩٨، ٢٠٦.

وفي ذلك الحين في إحدي تأملاته رأى مرشده السماوي مرة أخرى يأمره أيضاً بتأليف كتابه الجامع الخالد (الفتوحات المكية) الذي ضمن فيه أهم أرائه الصوفيَّة ، والعقليَّة ، ومبادئه الرُّوحيَّة.

في سنة ٥٩٩هـ زار الطائف وفي زيارته الى بيت عبد الله بن العباس ابن عم رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم – استخار الله وكتب (رسالة حلية) الأبدال لصاحبيه أبي محمد عبد الله بن بدر بن عبد الله الحبشي وأبي عبد الله محمد بن خالد الصدفي التلمساني.

في سنة ٦٠١هـ، ١٢٠٤م ارتحل إلى الموصل حيث جذبته تعاليم الصوفي الكبير علي بن عبد الله بن جامع الذي تلقى لبس الخرقة عن الخضر مباشرة، ثم ألبسها لمحيي الدين ابن عربي بدوره. وفي نفس السنة زار قبر رسول الإسلام وكما قال:"وقد ظلمت نفسي وجئت إلى قبره – صلى الله عليه وسلم– فرأيت الأمر على ما ذكرته وقضى الله حاجتي وانصرفت ولم يكن قصدي في ذلك المجيء إلى الرسول إلاَّ هذا الهجير."

في سنه ١٢٠٦م رحل إلى القاهرة.

في سنة ١٢٠٧م عاد إلى مكَّة وأقام فيها ثلاثة أعوام ، ثم عاد إلى دمشق وزار قونية بتركيا حيث رحب به أميرها السلجوقي باحتفال بهيج. وتزوج هناك بوالدة صدر الدين القونوي. ثم لم يلبث أن ارتحل إلى أرمينيا. في سنة ١٢١١م رحل إلى بغداد والتقى هناك بشهاب الدين عمر السهروردي الصوفي المشهور.

في سنه ١٢١٤م زار مكَّة ووجد عدد من فقهائها الدساسين قد جعلوا يشوهون سمعته ؛ بسبب القصائد التي نشرها في ديوانه الرمزي منذ ثلاثة عشر عامًا فرحل إلى دمشق عائداً.

بعد ذلك رحل إلى حلب وأقام فيها مدةً من الزمن معززاً مكرماً من أميرها ، وعندها التقى بأرطغرل

أخيرًا أقام في دمشق في الفترة ١٢٢٣م ــ ١٢٤٠م حيث كان أميرها أحد تلاميذه ومن المؤمنين بعلمه ونقائه ، وعاش حياته في دمشق يؤلف ويعلم و، كان واحدًا من كبار العلماء بين أهل العلم والفقه في دمشق، والتقى به عدد كبير من العلماء والطلاب من جميع أنحاء المعمورة ومن أبرزهم الشيخ جلال الدين الرومي صاحب المثنوي، وفي دمشق دون وكتب مراجعاته ومؤلفاته وكان له مجلس للعلم والتصوف في رحاب مجالس دمشق وبين علماء الفقه والعلم بدمشق ومدارسها. ((١))

أهم كتبه :

ترك لنا ابن عربي تراثاً زاخرت أثرى المكتبة العربية ومن أهم مؤلفاته :

- قائمة مخطوطات ابن عربي فيه أكثر من ٦٧ مخطوط من كتبه قد كتب قبل ٨١٤ هـ
- كتاب تفسير ابن عربي ويضم تفسيره للقرآن
- كتاب الفتوحات المكية، المكوُن من ٣٧ سفر و٥٦٠ باب..الذي وُصف بأنه من النصوص الصوفية الموغلة في التعمق و أنَّ لغته رمزية وبها إشارات إلهية، له نشرة علمية محققة ومعتمدة أكاديميًّا في الدراسات الجامعية وهي نشرة الدكتور عثمان يحيى ، وتعد طبعة نادرة.
- كتاب فصوص الحكم، الذي أثار جدلاً كبيراً في وقته ولازال مصدراً للجدل.

(١) نفح الطيب للإمام للمقري وهو من أحسنها (٢ / ٣٦١، ٣٨٤) .

- ديوان ترجمان الأشواق، الذي خصصه لمدح نظام بنت الشيخ أبي شجاع بن رستم الأصفهاني التي عرفها في مكَّة سنة ٥٩٨ عندما قدم إليها لأول مرة قادما من المغرب.

- كتاب شجرة الكون، يتحدث فيه عن الكون مشبهاً إياه بشجرة اصلا كلمة "كُن".

- كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام .

- كتاب اليقين، الذي تناول موضوع اليقين الذي حير عديد من فلاسفة ذلك العصر المختار من رسائل ابن عربي .

رسائل ابن عربي.

الرسالة الوجودية.

وفاته :

توفي ابن عربي في ٢٨ ربيع الثاني من سنة ٦٣٨هـ الموافق ١٦ نوفمبر من سنة ١٢٤٠م ، ودفن في سفح جبل قاسيون في دمشق ، قبره موجودٌ في دمشق.(١)

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣/ ٤٨،٤٩) .

المبحث الثاني
أهمية المكان
في العمل الروائي

المبحث الثاني

أهمية المكان في العمل الروائي

مفهوم المكان :

يعني المكان بالنسبة للإنسان أشياء عديدة ، فالعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة قويَّة ، فالمكان هو الأرض ، والوطن ، والمأوى، والانتماء، ومسرح الأحداث ، فقد جاء في لسان العرب :" والمكان : الموضع ، والجمع أمكنة ، وأماكن جمع الجمع ، وقيل الميم في مكان في حكم الأصل كأنه من التمكن دون الكون " .[١]

كما عرف المكان لغة: بالموضع ، والمحل ، والحيز ، والمقام، وجمعه: أمكنة، وهو مشتقٌ من مادة:(مكن)، التي تعني المكان والمكانة (لسان العرب). كما يعني: "مجالاً ممتدًا يشمل الأرجاء والأشياء" [٢] . ولعل هذا المعنى يظل ضيقًا، إنْ لم نقل قاصرًا، عن المعنى المراد دراسته هنا. وعليه فلا بدَّ من تناول مفهوم المكان كعنصرٍ سرديٍّ، إذ يمكن القول إن: "المكان لا يكون منعزلاً عن باقي عناصر السَّرد، بل يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائيَّة الأخرى للسَّرد: كالشَّخصيات ، والأحداث ، والرُّؤى السَّردية... وعبر هذه العلاقات المركَّبة يلعب المكان دوره النَّصيّ داخل السَّرد. وقد استطاعت الشِّعرية الجديدة أنْ تجعل من المكان عنصرًا حكائيًّا بامتياز، إذ أصبح مكونا أساسيًّا في الآلة

(١) ابن منظور، لسان العرب ، ط٢، (بيروت : دار صادر ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م)، ٤١٤.
(٢) د اعتاب بالخير ،مفهوم المكان في القصيدة العربية، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع: ١١٥/١١٤، سنة:٢٠٠٠، ص: ١٣٤.

الحكائيَّة، ورفعت بذلك اللَّبس الحاصل في علاقة الفضاء النصيِّ ، والفضاء المكانيِّ، والفضاء الواقعيِّ .

وقد ظهرت أهمية المكان عند كثير من الباحثين القدماء والمحدثين، وظهرت عدة أراء في أهمية ماهيته، حيث يرى بعضهم أن ّالمكان حقيقة معاشة يؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه ، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبيّ ، وكلُّ مكانٍ مُدان مالم تجر عليه خبرة الإنسان . وتاريخ المعرفة هو تاريخ العلاقة بين الإنسان والأشياء التي اختبرها [١] ، وعلى هذا فالمكان "يعني بدء تدوين التاريخ الإنساني ، و الارتباط الجذري بفعل الكينونة ؛ لأداء الطقوس اليومية للعيش ، وللوجود ، ولفهم الحقائق الصغيرة ؛ لبناء الروح ، وللتراكيب المعقدة والخفية ؛ لصياغة المشروع الإنساني ضمن الأفعال المبهمة" [٢]، "ولهذا كلّه بدأ الاهتمام بالمكان وأصبح مرتبطاً بعالمية الأدب ، إذ هو أحد أسباب الوصول إليها ؛لأنَّ العمل الأدبي حين يفقد المكانيَّة يفقد خصوصيَّته وأصالته . فالأدب الذي يكتسب عالمية هو ذلك الأدب الذي يستطيع أنْ يتبناه الإنسان ويجد فيه خصوصيَّته ، ومثل هذا الأدب يشق الطريق إلى العالمية ، ولكنَّه يفعل ذلك عبر ملامح قوميَّة بارزة وقويَّة أحدها : المكانيَّة" [٣] ، فالمكانيَّة ليست نظرية في النَّقد ، وإنَّما هي طريقة لرؤية النَّصِّ الأدبيِّ من الدَّاخل والخارج معاً ،وبذلك نلغي أحاديَّة المنهج النَّقدي الذي لا يرى النَّص إلاَّ من الدَّاخل فقط، أو لا ينظر إليه إلاَّ من الخارج فقط. وبهذه الطريقة يمكننا فهم النصِّ الأدبي فهماً جديداً ، من خلال

---

(١) انظر: ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ،١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦م)، ٢١ .

(٢) المرجع السابق ٣٩٥ – ٣٩٦ .

(٣) غاستون باشلار، جماليات المكان ،ترجمة: غالب هلسا، ط٥، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠ م)، ٥-٦.

التَّرابط بين ذات المبدع الخلاقة والمجتمع من خلال الوعي به ، وانعكاس قضاياه في الأدب ، لذلك يصبح المكان الأداة الأكثر استيعاباً لمعاني النص وفنيته [١].

دور المكان في النَّصِّ الرِّوائيِّ:

يشكل المكان عنصراً حيوياً من العناصر الفنية التي يقوم عليها بناء العمل الأدبي الرِّوائيِّ، فهو يلعب دوراً مهماً في تشكيل النسيج العام للنتاج الروائي، وهو العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل الروائي بعضها ببعض من شخصيات ، وأحداث ، وسرد ، وحوار، أي أنَّه الإطار العام والوعاء الكبير، الذي يشدُّ أجزاء العمل كافة، وهو الجزء المكمِّل للحدث، وأرضيَّة الفعل وخلفيَّته[٢].

وتبرز أهمية المكان في كونه أهم عناصر الرواية، فهو الموضع الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك خلاله الشَّخصيات، وقد يكون أحياناً هو الهدف من العمل الروائي.

والمكان في الرواية غير المكان في الواقع، فهو مكانٌ خياليٌّ له مقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة، وتتمثل أهمية المكان في الرواية باعتباره عنصراً فاعلاً في تطورها وبنائها وفي طبيعة الشَّخصيَّات وعلاقاتها، وهو فضاء يتسع لبنية الرواية ويؤثر فيها.

---

(١) انظر: أمل طاهر نصير، فاعلية المكان في بناء القصيدة ،مجلة جامعة الملك سعود، جامعة الملك سعود، م١٥(١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م): ٢٧٥.

(٢) زكي، أحمد، دراسات في النقد الأدبي، (بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٠)، ص: ٤٢ -٤٣.

ويمثل المكان الفضاء الذي يتسع لحركة الإنسان ويتفاعل معها، ويكشف عن جوانب من الشخصية، ويبرز مدى ما تمتلكه من حرية، وطبيعة العلاقة بينه وبين الأشياء والأحياء، وبينه وبين الزمن(١).

إنَّ الرِّوائيَّ المبدع الذي يتعامل مع المكان تعاملاً إبداعيًّا، فيتخذ من المكان إطاراً عاديًّا، يوظف من خلاله التّقنيَّات السَّرديَّة من شخصيَّة ، وحدث ، وزمان، إنه خشبة مسرح واسعة، تعرض الشَّخصيَّات من خلالها رؤيتها واتجاهاتها.

ويتمثل مفهوم المكان الروائي في أنَّ: المكان في مجمل أحواله "يشير إلى المشهد أو البيئة الطَّبيعية أو الاصطناعيَّة التي تعيش فيها الشَّخصيَّة الرِّوائيَّة، وتتحرَّك وتمارس وجودها، ويضم المكان قطع الأثاث ، والديكور ، والأدوات كافة بمختلف أنواعها واستعمالاتها، كما يشمل الوقت من اليوم، وما يترتب عليه من أضواء مختلفة أو ظلمة والطقس بكل أحواله، وتدخل ضمن المكان الأصوات والروائح"(٢).

ويفهم من هذا التعريف: أنَّ المكان في الرِّواية لا يراد به دلالته الجغرافية المحدودة، المرتبطة بمساحة محدود من الأرض في منطقةٍ ما، بل هو كيان زاخر بالحياة والحركة، يؤثر ويتأثر، ويتفاعل مع حركة الشَّخصيَّات وأفكارها، كما يتفاعل مع الكاتب الروائي ذاته"(٣).

---

(١) وريمي، محمد، الفضاء الروائي في الغربة: الإطار والدلالة،(الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ١٩٨٥)، ص٨٦.

(٢) قويفلي، محمد، المكان الروائي في روايات غسان كنفاني نموذجاً، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب، ١٩٩٣، العدد٢ ، المجلد٥ ، الرياض، ص: ٣٤٩ .

(٣) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي: الفضاء – الزمن – الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٠)، ط١، ص: ٢٩.

إنَّ المكان في الرواية هو المكان اللفظي *المتخيل*، أي المكان الذي تقيمه الكلمات انصياعاً لأغراض التخييل الروائي وحاجته"[١].

فالنَّصُّ الرِّوائيُّ يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خياليًّا له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة، وهو حاصل لمعني ولحقيقة أبعد من حقيقته الملموسة" [٢].

ويغدو المكان الأداة الأكثر استيعاباً لمعاني النص وفنيته، إضافة إلي أنَّ العمل الأدبي يفقد أصالته وخصوصيَّته إذا افتقد عنصر المكان[٣].

والمكان باعتباره عنصرًا من عناصر الرِّواية، له دور فعال في النَّصِّ الرِّوائيِّ، إذ قد يتحول من مجرد خلفية تقع عليها أحداث الرواية إلى عنصر تشكيلي من عناصر العمل الروائي. فالمكان له دور مكمل لدور الزمان في تحديد دلالة الرواية. كما أنَّ له أهمية كبرى في تأطير المادة الحكائية وتنظيم الأحداث؛ إذ يرتبط بخطية الأحداث السردية، بحيث يمكن القول : إنَّه يشكل المسار الذي يسلكه تجاه السرد. وهذا التلازم في العلاقة بين المكان والحدث هو الذي يعطي للرواية تماسكها وانسجامها ويقرر الاتجاه الذي يأخذه السرد لتشييد خطابه، ومن ثم يصبح التنظيم الدرامي للحدث هو إحدى المهام الرئيسة للمكان.[٤]

---

(١) الضبع، مصطفى، استراتيجية المكان، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨)،ص:٢٥١.

(٢) قاسم، سيزا ، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ،(بيروت: دار التنوير للطباعة، ١٩٨٥)، ص: ٧٤.

(٣) شلار، غاستون، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا،) بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٨٤)، ص:٧١.

(٤) حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي: الفضاء – الزمن – الشخصية، ط١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م، ص ص ٢٠، ٢٩، ٣٠.

والمكان – سواء أكان مشهدًا وصفيًا ، أم مجرد إطار للحدث – يدخل في صلات وثيقة مع باقي المكونات الحكائية في النص الروائي، كما «يدخل في نسيج النص من خلال حركة السارد في المكان» [١] فيغير إيقاع السرد بعبور السارد أمكنة مختلفة في الرواية مما يؤدي إلى تغير الأمكنة داخل الفضاء الروائي، الذي ينتج عنه «نقطة تحول حاسمة في الحبكة وبالتالي في تركيب السرد والمنحنى الدرامي الذي يتخذه». [٢]

وحيث إن تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكلان بعدًا جماليًّا من أبعاد النَّصِّ الأدبيِّ فإنه ، يمكن النظر إلى المكان الروائي على أنَّه بؤرة تجتمع فيها شبكة من العلاقات التي تجمع بين عناصر الرواية المختلفة، ومن ثمَّ يصبح المكان عنصراً غير زائد في الرواية»[٣] إذ يتخذ أشكالاً ويتضمَّن معاني عديدة، بل إنَّه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كلِّه ؛ ويكون منظماً بنفس الدِّقَّة التي تنظم بها العناصر الأخرى في الرواية، لذلك فهو يؤثر فيها ويقوي من نفوذها».[٤]

وغني عن البيان أنَّ ثمَّة علاقة تأثير وتأثر بين المكان والشَّخصيَّات الرِّوائيَّة – رئيسة وثانوية – إذ يعد المكان عنصرًا أساسيًا في تشكيل بنية هذه

---

(١) مصطفى الضبع. استراتيجية المكان، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أكتوبر ١٩٩٨م، ص٧١.

(٢) حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي: الفضاء – الزمن – الشخصية، ط١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م، ٣٢.

(٣) افتتاحية »ألف« مجلة البلاغة المقارنة، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ع٦، ربيع ١٩٨٦م، ص٥.

(٤) مصطفى الضبع. استراتيجية المكان، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أكتوبر ١٩٩٨م، ص١٥١.

الشَّخصيَّات، كما أنَّه لا يتشكَّل إلاَّ من خلال اختراق هذه الشَّخصيَّات له وظهورها فيه بمميزاتها والأحداث التي تقوم بها فيه، الأمر الذي يؤكد لنا أن «المكان حقيقة معاشة ، ويؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه» (١)، فمن الوهم إذن الاعتقاد بانفصال المكان عن تأثير الإنسان القاطن به أو العابر له، ذلك أن علاقة التَّأثير والتَّأثُّر بين المكان والإنسان تتوثَّق من خلال الدور الذي يلعبه كلٌّ منهما إزاء الآخر؛ فالمكان يكشف عن شخصية الإنسان، بينما يعطي الأخير للمكان قيمته من خلال تجربته فيه.

وإذا كان المكان« يتخذ دلالته التَّاريخيَّة ، والسِّياسيَّة ، والاجتماعيَّة من خلال الأفعال وتشابك العلاقات، فإنَّه يتخذ قيمته الكبرى من خلال علاقته بالشَّخصيَّة» (٢) . وتبدو أعلى درجات هذه القيمة حين يكون المكان جزءًا من بناء الشَّخصيَّة «لأن ؛ الذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها، ولكنها تنبسط خارج هذه الحدود لتصبغ كل ما حولها بصبغتها، وتسقط على المكان قيمها الحضارية».(٣)

ومع التسليم بوجود علاقة تأثير وتأثر بين المكان والشَّخصيَّة، فإننا لا نجد غرابة في أن يكون المكان «قطعة شعورية وحسية من ذات الشخصية نفسها» (٤) . من ثم نجد الروائي حين يشيد المكان في الرواية، يعمد إلى جعل هذا المكان منسجماً مع طبائع شخصياته ومزاجها، بحيث يبدو كما لو كان خزانا

(١) يوري لوتمان. مرجع سابق، ص٨٣.
(٢) محمد الباردي. الرواية العربية الحديثة، ط١، اللاذقية، دار الحوار، ١٩٩٣م، ص٢٣٢.
(٣) يوري لوتمان. مرجع سابق، ص٨٣.
(٤) بدرى عثمان. بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، ط١، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م، ص٩٥.

حقيقيًّا للحالة الشُّعوريَّة والذِّهنيَّة للشَّخصيَّات، وإلى جعل المكان ذاته يكشف عن الحالات اللاشعورية للشخصيات ويساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها.

مما تقدم يتبين لنا أنَّ المكان يمكن أن يقوم بدور العاكس « Reflector » لأحاسيس الشَّخصيَّة الرِّوائيَّة، بل أكثر من ذلك؛ إذ يمكنه القيام بدور الشَّخصيَّة ذاتها، وذلك «باعتباره تصويرا لغويا يشكل معادلا حسيا ومعنويا للمجال الشعوري والذهني للشَّخصيَّة »[١] ، كما يمكن أنْ يمثل المكان رمزًا من رموز الانتماء بالنسبة للشَّخصيَّة لاسيَّما إذا كان هذا المكان أليفا في علاقته بالشَّخصيَّة بحيث لا يعمق لديها إحساسًا بالغربة، بل على العكس ينمي فيها الإحساس بالامتلاك، وذلك حين تمتلك الشَّخصيَّة – بالفعل – مكانًا وجدانيًا . وعليه يمكننا القول إن : «هناك أماكن مرفوضة وأماكن مرغوب فيها، فكما أنَّ البيئة تلفظ الإنسان أو تحتويه، فإن الإنسان – طبقا لحاجاته – ينتعش في بعض الأماكن ويذبل في بعضها».[٢]

وانطلاقاً من هذه المعطيات «يتخذ المكان أشكالاً ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون فى بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله»[٣] من هنا تسعى هذه الدراسة للبحث في مدلول المكان الرِّوائيِّ، بما يتضمن أمكنة الرواية، وأشياءها، وأماكن تحرك أبطالها كما يقدمها السرد، مُشكلًا حركة الحدث الذي يبني النصوص المتناولة في هذه الدراسة، مع استخدام مصطلح «المكان» تحديدًا؛ لأنَّه الأنسب مع الهدف التحليلي من هذه الدراسة .

---

(١) بدرى عثمان. بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، المرجع السابق، ص١٣٢

(٢) يوري لوتمان. مرجع سابق، ص٨٣

(٣) حسن بحراوى، بنية الشكل الروائى، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٠– ص ٣٣

ملخص للرواية :

رواية " موت صغير" تتحدث عن حياة المتصوف محي الدين بن عربي..(الشيخ الاكبر).. والرواية تأخذ نسقين روائيين. النسق الأساسي سرد على لسان ابن عربي نفسه. والنسق الآخر يتحدث فيه تباعًا من يُعتقد أنهم حملوا المخطوط هذا عبر أجيال ليصل أخيرًا إلينا...

ابن عربي يولد في بلنسية في الاندلس (أسبانيا). في القرن السادس الهجري. الثاني عشر الميلادي. من أصول عربيه تعود لقبيلة طيئ في الجزيرة العربيه. أبوه يعمل في قصر الملك (ابن مردنيش). أمه كانت جاريه وبولادته (كابن ذكر منها) أدى لاعتاقها وتحريرها. و لابن عربي أم أخرى تدعى فاطمه .. كمربيه ترعاه .وترى فيه أمارات لكرامات قادمة في التصوف. وفي المسير في طريق التجرد لله... ابن عربي نشأ في مرحلة الصراع بين الإمارات العربية في الأندلس. فأباه العربي كان وزيرا عند الملك ابن مردنيش. المتحالف مع الفرنجة. ضد الإمارات العربية الأخرى. مشاكل الحكم والدسائس حاضرة. والتحالفات والصراعات دائمة وهاهي بلنسية تحاصر من الموحدين. ليصل لمرحلة تخضع بها إلى حكمهم... ويغادر ابن عربي مع عائلته إلى إشبيلية. ووالده مازال من حاشية الحكام الموحدين.. الذين يحكمون بعض المغرب العربي وبعض الأندلس... ينشأ ابن عربي في هذه البيئة وهو منذ طفولته يرى بنفسه إنسانًا أعطاه الله من الكشوف الكثير. وبدأ يتابع بحثه الدؤوب في طريق التجرد لله... خالف والده حيث أراد له أن يكون مثله من وزراء الحكام.. وهو أراد أن يكون متعبدًا في طريق الله.. تتلمذ على يد الكثيرين. ودرس كلَّ ما وصل إليه. كان له فرصة للإطلاع باكرًا على علوم اليونان ، والإغريق وعلوم المسلمين.. كان معاصرًا

لابن رشد الذي كان له حظوة عند الموحدين. وكان بينه وبين ابن عربي حوار. فابن رشد يتحدث كفيلسوف بالمنهج العقلي والاستدلال الواقعي ، ويتحدث عن قوانين ونواميس للكون. وعن قوانين وتوجيهات ربانية عبر رسله وكتبه السماوية. وألاَّ تناقض بين رسل السماء ورسالاتهم بالنقل.. وعلم العقل البشري.. ابن عربي وافق على ذلك. لكنَّه أضاف أن هناك علم آخر يضاف لهم عن طريق الكشف الذي يعطيه الله لبعض عباده المقربين (الأولياء والصوفية..). دخل ابن عربي في نسيج المنظومة الصوفية السابقة له وصار له حضور وسمعه... وكان له في كل منعطف حياتي هدف يتحرك له ؛ ليتقرب من الله اكثر.. فاطمة مولدته وأمه الروحية. دفعته في طريق التصوف وقالت له طهر قلبك واتبعه.. أخبر أن له أربعة أوتاد كمراتب صوفيه يجب أن يبحث عنهم ويجدهم أو هم يجدوه . ليصل إلى درجة القطبية. ويعطيه الله من علمه. ويتذوق من كرامات الله الروحانيَّة والوجدانيَّة. يعيش عوالم روحانيه نفسيه وواقعية. ويتداخل الحلم مع الكشف في حياة ترحال مستمرة. يبحث فيها عن مايكمل فيه رحلته الروحية.. فبعد أن يلتقي بوتده الأول في الأندلس... يخبره أن وتده الثاني في إفريقية. فيذهب الى فاس ومراكش. ويعيش حياته متنقلا بين شيوخ العلم الديني الفقهي. ومشايخ الطرق الصوفية . يلتقي بالكل يدرس على يدهم. ويكون له حلقة تدريس في كل مدينة وله أتباع كثر خاصة بعد أن ذاع صيته.. كان ابن عربي قد تزوج ورزق بطفلة.. وكان ذلك جزءًا من مساره للبحث عن الله وفي طريقه اليه... جاءه الكشف بالذهاب الى مكَّة للحج.. ووتده الثاني لم يلتق به بعد رغم طول مكوثه في المغرب العربي.. ويذهب بصحبة (الحصار) الدارس للهندسة والمتصوف. ويصل لمصر ويلتقي فيها برفاق الطريق الصوفي (الحريري و الخياط).. ليكتشف أن الحصار هو وتده الثاني ، ولكن بعد موته. وأن الخياط

بديله وهو مشلول عاجز. وأه في مكَّة سيجد وتده الثالث... ابـن عربـي دائـم التفكير والقلق. فأي تغير يصيبه واي مشكلة يعيشها. يعيدها لتقصير منـه مـع الله.. ويدخل في نوبة تأنيب تستمر لوقت طويل حتى يأتيه كشف ما. يخبـره أن الله راضٍ عنه.. يصل أخيرًا لمكَّة ، وكان قد ترك زوجته وطفلته عند أهلها فـي تونس.. في مكَّة يتعرف على (الأصفهاني) المتصوف وأخته المتصـوفة أيضـاً. ويدرس على يدهم ما عندهم. ويعطيهم ما عنده. ويتعرف بالأثنـاء علـى ابنـة الاصفهاني (نظام) التي درس معها على يد عمتها... ونسج بينهما حب كبيـر.. كان يعود ابن عربي لبيته كل يوم ويدون أشواقه لنظام في كتاب أسماه (ترجمان الأشواق)... وكان لابن عربي مريد من الحبشة قرر أن يكون تابعه وخادمه اسمه بدر. الذي رافقه رحلة الحياة في ترحاله الدائم خمسة وعشرين عاماً حتى توفي. وكذلك التحق به بعد مكَّة سوركين الذي بقي في صحبة ابن عربي حتى وفاته... التحقت زوجة ابن العربي به في مكَّة لكن على الطريق مرضـت ابنتـه زينـب وتوفيت. وهذا ما أثر في زوجته التي طلبت العودة لأهلها.. وعادت. فـي مكَّـة استمر تواجد ابن عربي ثلاث سنوات تعلم وعلم وألم بكلِّ مافيهـا مـن علمـاء وعلوم. وتبلورت عواطفه تجاه نظام وأكدت هي أيضا محبتها له... فما كان منه إلاَّ أن تقدَّم لخطبتها من والدها وعمتها.. وفرحا بذلك لكن نظام رفضت. متعلِّلـة بأن الحب يميته معاشرة المحبوب.. وعاد مجددًا ابن عربي ؛ لقلقه من وضـعه. فلا وتده وصل إليه. وها هي نظام ترفض حبه وعشرته والتزوج منه... وحـول كتاباته في مكَّة لكتاب ينسخ ويوزع اسـماه (الفتوحـات المكيَّـة)..وبعث أيضـاً بكتابه(ترجمان الأشواق) للنسخ والتوزيع... وعندما رفضت نظام الـزواج. منـه استخار ربَّه وقرَّر الرحيل مجدَّدًا إلى بلاد الشام فذهب الى دمشق. التي وجد بهـا متسعاً له ولكثير من الصوفيين وغيرهم من شيوخ العلم.. لكن دمشق لـم تكـن

أفضل من مكَّة والمدينة حيث صراع رجالات الحكم هناك. وأيضا صراع الأيوبيين بين بعضهم في دمشق ومصر.. ودعاه الحاكم وأكرمه . لكنَّ ذلك لم يدم طويلاً.. فقد نشر كتاب(ترجمان الأشواق) الذي جرح الأصغهاني وأثر على سمعة ابنتـــه. وبعث لابن العربي برسالة عتاب جعلته يتأم كثيرًا. وفكر باحثاً عن مخرج.. وألف كتابا يشرح به ترجمان الأشواق وأنه كتاب في العشق الإلهي.. ولم يرتض بعض فقهاء دمشق بأطروحات ابن عربي. عن وحدة الوجـــود وغيرهـــا فقـــد كثـــرت الوشايات والإساءات. فما كان من ابن عربي إلاَّ الذهاب الى مصر ليلتقي باحبتـــه الخياط والحريري... لكن فقهاء مصر كانوا قد جيشوا العامة والســـلطة ضـــده. فواجهوه في الجامع حيث درسه وحاججوه وأساؤوا له. واستدعاه قاضي القضاة و حبسه... ولولا كرامة لولي هو وتده الثاني الميت الذي شفع له عنـــد الحـــاكم والقاضي لكان ما خرج من السجن؟!!.... وعندما خرج سارع لمغادرتها لبغـــداد ... التي استقبلته واحتضنه متصوفيها وصار له ركن درس في أحـــد جوامعهـــا. وصار له مريدين وتابعين. واستمر على هذه الحال ينتظر إشارة ربانية ويلتقـــي بوتده الثالث.. إلى أن علم بوفاة الأصفهاني صديقه ووالد نظـــام حبيبتـــه. وفـــي بغداد... شارك بالعزاء وحزن كثيرًا. وبحث عن نظام ووجدها.. بث لها أشـــواقه وحبه وأنه ينتظر موافقتها ليكتمل حبهم بالزواج. وهي أكدت حبها له وأشواقها. لكنها ترفض الزواج منه مجدَّدًا .. ويحزن كثيرا.. لكنه يتفاجأ عندما يعرف السبب وتخبره أها وتده الثالث واستحالة أن يتزوجا..؟!!... ويستسلم لمشيئة *الله*. المهم عنده أن الله مازال يراه بعين الرعاية... وتخبره أن وتده الرابع فـــي ملاطيـــة.. فاذهب إليه... ويغادر بغداد.. والتتار يغيرون من مدينة لأخرى والمذابح والقتـــل وراءهم يخيف الناس. والحكام كلٌّ في مدينته منهمك في صـــراعه مـــع المـــدن الأخرى.. ويعود الى حلب ليتوجه منها الى ملاطية. حلب التي كـــان قـــد زارهـــا

سابقاً وكان استقبال فقهائها له سيئاً حيث منعوه من دخول المسجد. وكادوا يعتدون عليه.. لكن هذه المرة استقبل فيها بترحاب. والتقى فيها بيعقوب صديقه. أحد المتصوفة الأتراك الذي ساعده على الزواج من فتاة أرملة مقاتل شهيد. فالعمر يمضي وابن عربي بحاجة لزوجة ترعاه وتنجب له الأولاد وتروي جسده.. وهكذا حدث... وتحمل زوجته وتنجب له ابناً سماه عماد الدين.. وكانت زوجة صديقه يعقوب قد أنجبت طفلا سماه نظام الدين... وسرعان ماتوفي يعقوب وترك في نفس ابن عربي جرحاً كبيراً. واعتبر نفسه مسؤلاً عن عائلته. وخاصة أنه وجد بنظام الدين نبوغاً وحباً للعلم. وأنه سيكون من المتصوفة وعلى طريقهم.. على عكس ولده الذي لم يحب العلم والدرس. وسيعيش طفولته لاهياً وشبابه ضائعاً... استمر ابن عربي في ترحاله بحثاً عن وتده الرابع.. وفي يوم يدخل عليه رجل يطالبه بزوجته. فهو لم يكن ميتاً بل أسيراً.. و يعالج المشكله بأنْ يطلق له زوجته. ويشترط عليه أن يعيش قريباً منه ؛ لينشأ ابنه قريباً منه في رعاية أمه.. وهكذا يحصل.. وبعد موت يعقوب وانتقال كفالتهم لابن عربي وطلاق زوجته منه.. يخطب ابن عربي زوجة صديقه المرحوم يعقوب. وتقبله وتخبره أن هذه وصية زوجها المرحوم.؟!!.. وسرعان ما تحمل بعد زواجهم وتنجب له ابنا سماه سعد الدين . فيصبح أباً لثلاثة أولاد... سيدخل بدر المرافق له ومريده في الشيخوخة. وسيصاب بالجزام. وستقطع رجله وسيرعاه ابن عربي هو وسوركين. وسينقل الى بيت المجذومين للرعاية ومنع الاصابة. وسيتابع ابن العربي رعايته وزيارته. وسيقضي بدر وقته في تدوين مؤلفات ابن عربي. حتى يموت في مرضه وبدفنه ابن عربي ويحزن عليه كثيراً.. وسيتزوج سوركين ويسكن في منزل مجاور لبيت ابن عربي.. ويأتيه دائماً؛ لرعاية شئونه. وسيلتقي ابن عربي أخيراً بوتده الرابع ويكون شمس التبريزي... وبعد أن أصبح ابن

عربي قريباً من ملوك الترك في قونية وغيرها. ويتعاملوا معه بتعظيم واحترام وتقدير؛ لعلمه وقدره... وبعد أن يلتقي ابن عربي بوتده الرابع شمس ويعطيه وصيته ويؤكد له أن شمس الحب سطعت في قلبه... وأنه أصبح من أحباء الله... قرر أن يغادر الى دمشق ؛ لتكون فيها خاتمته وقبرة... ؛ لأنها المكان الذي سينزل فيه عيسى – عليه السلام– ويريد أن ينتظره هناك .. ويعود الى دمشق.. التي لم يكن حكامها أو فقهائها سعداء لحضورة. فهم مجيشون ضدَّ الصوفية... فقطعوا عنه المساعده. ولم يعد يستطع أن يدرس.. وأصبحت لقمة العيش عزيزة... فهو قارب السبعين وعليه أن يعمل ؛ ليعيل زوجته وابنه الصغير.. فعمل بستانيًّا وتغيرت أحواله بتقدمه بالعمر. فالذاكرة تضعف. والمعلومات تتوه. والجسم لا يتجاوب مع الإراده. ويضعف عن القيام بالأعمال الموكلة اليه... ويموت ابن عربي في إحدى مزارع دمشق ، وهو يعمل ليعتاش بكرامته... [١]

(١) عن رواية (موت صغير) لمحمد حسن علوان "،الموقع الرسمي للجائزة العالمية للرواية العربية .

المكان في رواية " موت صغير "

وقع اختيار الباحثة للمكان في رواية " موت صغير "؛ ليكون موضوعاً لدراستها، ولم يقع هذا الاختيار اعتباطاً، بل كان لـدوافع قويـة منهـا: تضـمن الرواية حضوراً روائياً قويًّا لعنصر المكان، إذ جعل الكاتب من المكان قضيته في مركز النسيج الروائي لروايته، فطغى هذا العنصر على العناصر الأساسيَّة للخطاب السَّرديِّ وفي مقدمتها: الأحداث ، والشَّخصيَّات ، والزَّمان ، والسَّرد، فضلاً عـن أنَّ عنصر المكان قد أدَّى في هذه الرواية دوراً بالغ الأهمية في تطوير الحـدث، وفي بلورة القيم الفكريَّة والجماليَّة، ومن هنا كاد المكان ــ في الخطاب الروائـي ــ أن يمثل شخصية متكاملة بكل أبعادها وتأثيرها في السياق الروائي العام.

ويتعدد الفضاء المكاني في رواية "موت صغير "، ففيه إشارات متعمقة إلى" نشأة وموت ابن عربي "، فى «موت صغير» يقارب كاتبها محمـد حسـن علوان موضوعاً شائكاً وملتبساً، تُنزَع فيه هالة الأسطورة عن الصوفى الأشـهر الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى، لنتعرف على صاحب «الفتوحـات المكيَّـة» الإنسان، الذى من لحم ودم: سعى ابن عربى من الأندلس إلى مكَّة بحثاً عن مفتاح روحه، ولم يكن يدرى أن «نظام» هى هذا المفتـاح، أثنـاء حضـورهما دروس عمتها «فخر النساء»، هام بها ابن عربى عشقًا وهامت به، يغمزهـا وتغمـزه، تتلامس أيديهما ويغرقان فى قبلةٍ مختلسة فى غفلةٍ من العمة،ليكتشـف أنَّ فـى القلب أركاناً موحشةً، وغرفاً موصدةً، وسراديبَ تراكمت فيها مشاعر لم يتسنَ له اختبارها فى حياة الصوفية التى يعيشها.

والحقيقة أنَّ الرواية بموضوعها وشكل كتابتها وما تطرحه من أسئلة تتصل بالراهن، تشير إلى حزمة دلالات متداخلة وأظن أنَّ من المهم الإشارة إليها:

أولاً : كاتب هذه الرواية، ابن ثقافة تتعامل مع التصوف والمتصوفة وبخاصة ابن عربى بتحوط واحتراز بل فى الأغلب بارتياب شديد واتهامات صريحة بالمروق من الدين والخروج عن الملة! لكن محمد حسن علوان قرر أن يخرج على المألوف وأن يستثمر أقصى ما أتيح له من معرفة ، وعلم ، وثقافة ، واتصال ، بالعلوم والمنهجيات الحديثة فى كندا فقد نجح تماماً فى تجاوز هذه النظرة وتخطى الآراء المنقولة والسماعية فيما يتصل بتراثنا.يظل الكوخ أهم فضاءات الرواية، ويشكل المكان المحوري فيها والذي يتفرع بدوره إلى فضاءات فرعية أخرى مثل: البرزخ و القرية، وشوارعها، وساحاتها، وبياراتها، وكرومها، وبواديها.

يعود "محمد حسن علوان" في روايته الأخيرة "موت صغير" إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر ليروي سيرة واحد من كبار المتصوفين في التاريخ الإسلامي، هو الشيخ محيي الدين ابن عربي.

يبدأ الكاتب تلك السيرة بولادة "محيي الدين" لوالدٍ كان يعمل في بلاط الملك المرابطيّ "ابن مردنيش"، ولأمٍ لا تترك أثراً في حياة ابنها، في حين تكون مرضعته "فاطمة بنت المثنى" هي صاحبة الأثر الكبير عليه، فهي التي عرفت منذ ولادته أنه سيكون مختلفاً عن أبيه، وهي من أخبرته أن له أربعة أوتاد في هذه الأرض وكي يجدوه عليه أن يطهّر قلبه.

"حملتني فاطمة إلى أبي ذلك المساء فهشّ وبشّ. وعلمت فور أن وقع بصري على وجهه المستدير أن ولادتي هي تأويل الشامة التي عاشت تحت عينه اليسرى طيلة حياته وبشّرته بها فاطمة: يا علي، إنَّ موقع الشامة من وجهك يعني أنه يولد لك ابنٌ يرفع لك ذكرك ويحفظ لك قدرك ، ولكن مكانها تحت عينك يعني أنه يخالف دربك."

يكبر "محيي الدين" مختلفاً عن أقرانه، ويظل تائهاً إلى أن يحين موعد الجذبة الأولى التي يعرف بعدها الطريق الذي يجب أن يسلكه. هكذا يبدأ أسفاره من بلد إلى آخر، بحثاً عن أوتاده الأربعة، غير أن البحث عنها سيكون مضنياً وشاقاً، فالعبارة التي أوصته بها أمه الروحية: "طهّر قلبك، عندها فقط يجدك وتدك"، ليست سهلة التحقق.

من إشبيلية إلى قرطبة مروراً بإفريقيا ، والإسكندرية ، والحج إلى مكَّة، ثم التوجه إلى بغداد فالبقاع حتى عودته أخيراً إلى دمشق حيث سيموت، سيلتقي ابن عربي بأناسٍ كثر، ويتعلم منهم ويعلمهم، ويصحب أولياء ويفارق أوتاداً، ويؤلّف الكثير من الكتب، ويُسجن بسبب معتقداته وأفكاره، وسيتعلق قلبه بأكثر من امرأة، ومنهن "نظام" التي كتب فيها كتابه الشهير "ترجمان الأشواق."

وفي هذه الأسفار الطويلة التي استغرقت كل عمره سيظل "الشيخ الأكبر" باحثاً عن معنى طهارة القلب، إلى أن يلتقي بآخر أوتاده "شمس التبريزي"، فيخبره أن الإنسان يطهّر قلبه بالحب، ما يعيدنا إلى أشهر عبارات ابن عربي:"أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني."

تسلط الرواية الضوء على الأحداث التاريخية والأوضاع السياسية التي كانت موجودة آنذاك، إذ تترافق سنوات طفولة ابن عربي مع الصراع بين المرابطين والموحدين، الذي انتهى بانتصار الموحدين وحكمهم للأندلس، كما تترافق أسفار الشيخ مع محطات مهمة في التاريخ الإسلامي، منها الحروب مع البرتغاليين، وثورات بني غانية في تونس، والحروب مع الإفرنج في مالطة وغيرها، والفتن والنزاعات التي كانت تحصل بين الملوك والأمراء، خاصة أنَّ ابن عربي تنقّل بين عدة أماكن ما جعله يعيش تحت حكم الموحدين والأيوبيين والعباسيين والسلاجقة.

يختار "محمد حسن علوان" لروايته حبكة تسير وفق خطين، الثاني منها: سيرة ابن عربي، التي تحتل القسم الأكبر من السرد، غير أنَّ الخط الأول يعطي الرواية إيقاعاً مختلفاً ويزيد من جماليَّاتها، فهو يتخيّل وجود مخطوط كتبه الشيخ بنفسه ودوّن فيه سيرة حياته، وقد انتقل هذا المخطوط من يدٍ إلى يد، ومن زمنٍ إلى آخر حتى وصل إلى بيروت عام ٢٠١٢م.

هكذا ومن خلال ١٢ فصلاً قصيراً تتخلل السرد، يتابع الكاتب رحلة المخطوط، ليكون شاهداً على أحداث تاريخية مهمة عاشتها بعض البلاد في أكثر من زمان، منها تدمير هولاكو لحلب، وزمن الظاهر بيبرس في الكرك، وزمن الإمبراطورية العثمانية، والاحتلال الفرنسي لدمشق وحتى أحداث ١٩٨٢م في حماة السورية. يصلح كل مقطع من هذه المقاطع ليكون حكاية مستقلة بحد ذاته، سواء في موضوعه أو في مضمونه وفرادته، غير أن ما يجمعها كلها ويشبكها مع الخط الأول، عدا اللعبة السردية التي اختارها "علوان"، هو تصويرها الحروب ، والصراعات ، والأيام العصيبة التي عاشتها البلاد الإسلامية عبر تاريخ طويل.

تطرح الرواية، إلى جانب الكثير من الأفكار التي يصعب ذكرها كلها، فكرة أساسية هي المعاناة التي عاشها الصوفيون في مجتمعاتهم، والمضايقات التي تعرضوا لها بسبب معتقداتهم وأفكارهم التي جاءت صادمة للناس ولرجال الدين التقليديين، والخصومة التي نشأت بين الصوفيين والفقهاء، إذ إن الفقهاء لم يفهموا الصوفية فهماً صحيحاً.

وعلى العموم، فإن هذا الصراع ما زال قائماً حتى وقتنا الراهن، وإن كانت أشكاله قد اختلفت وصارت أقل حدة وعنفاً عما كانت عليه في الوقت الذي عاشوا فيه، إذ تمت محاربتهم بشراسة وصلت في بعض الأحيان إلى سجنهم، "أرجو ألا تأخذ كلامي بمحمل الاعتراض. ولكن الرقص طيلة الليل، والذكر الذي يردفه ضربٌ بالدف والطبل، تجعل بعض الفقهاء لا يأخذ تدريس الخوانق بجدية. كلام بعض المتصوفة يا سيدنا أيضاً عسير الهضم على معدة العامة. كيف يمكن أن يفهم العامة أن فرعون مؤمن؟ كيف يفهمون أن الله والوجود واحد؟ كيف يفهمون أن الألوهية تسري في جميع المعبودات حتى الأوثان؟."

وليس هذا حال الصوفيين فحسب، بل هو حال كل شخص يأتي بجديد غير مألوف، فإحدى الشخصيات التي تتطرق إليها الرواية هي شخصية الفيلسوف "ابن رشد" الذي عاش في ذلك العصر، وأُتلفت كتبه، وحُكم عليه بالسجن لوقت طويل بسبب أفكاره الفلسفية التي لم يتقبّلها العامة من الناس.

تفتتح الرواية كل فصلٍ من فصولها المئة بعبارة صوفية لابن عربي، محاولةً أن تجاور جنباً إلى جنب الأفكار الصوفية للشيخ الأكبر مع تفاصيل الحياة اليومية التي يعيشها، لتعرّفنا إلى "ابن عربي" الإنسان الذي

من لحم ودم، بعد أن عرفناه صاحب فكرٍ صوفيّ، وهذا من بين أبرز نقاط قوتها وجمالها.

ولا شكّ في أنَّ الجهد البحثي المبذول لكتابة هذه الرواية كان كبيراً، وقد أداه الكاتب باقتدار، سواء في البحث عن تفاصيل سيرة حياة الشخصية الرئيسة، أو في الإضاءة على المسارات التاريخية واختيار الكاتب لأكثر من حادثة كي يضيء عليها عبر رحلة المخطوط، كما يدلنا على هذا الجهد: الوصف التفصيليّ للأماكن الجغرافية التي عاش فيها "ابن عربي" أو سافر إليها، وأيضاً، لغة الرواية التي اختار "علوان" مفرداتها بعناية كي تعكس الزمن الذي تجري فيه، فلا تكون حداثية أكثر من اللازم، ولا تراثية فتجعلنا نستثقل قراءتها. غير أن الشيء الوحيد الذي يمكن أن ننتقد الكاتب عليه هو أنه لم يضع لائحة بالمراجع التي استند إليها في كتابته.

أخيراً، نجح "علوان" في إيهامنا بأن هذه هي السيرة الحقيقة لابن عربي، سواء أكنا قرأنا مسبقاً عنه أم لا، فإنَّنا مع "موت صغير" نعيد تشكيله من جديد ليظهر أمامنا كما اختارته الرواية أن يكون، وما الذي تطمح إليه الرواية – أي رواية – أكثر من ذلك؟

وتفرض راوية" موت صغير " على الباحثة منهجاً خاصاً يقوم على التحليل الذي يتخذ من صورة المكان الروائي ومكوناته وملامحه منطلقا لدراسة علاقة البعد المكاني ببقية عناصر البناء الروائي مثل: الأحداث ، والشخصيات ، والخطاب السردي مع بيان أثر المكان الروائي في تشكيل البنية السردية بعناصرها المتنوعة؛ ذلك أن تحليل النص ينبغي أن ينطلق من بنيته الداخلية، وأن غاية البحث في النص هي التوصل إلي معرفة بنيته الدالة[١].

(١) قاسم، سيزا ،بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص: ١٠٥.

فتحليل النص من الداخل ينبئ عن منحاه التشكيلي وعن علاقته بالواقع المعيش، مع النظر إلى المكان على أنه شبكة من العلاقات والرؤى، ووجهات النظر التي يتشكل من خلالها الفضاء الروائي (١).

واقتضت طبيعة دراسة المكان وأبعاده في رواية" موت صغير " أن تتناول الباحثة العنصر المكاني من خلال معالجة المكان للعتبات المكانية والبحث في صورة القرية الفلسطينية، بوصفها المكان المحوري، وتتبع شبكة العلاقات بين المكان والشخصيات وبين المكان والأحداث، مع اتخاذ المكان منطلقاً لدراسة التقنيات السردية التي وظفها الكاتب في روايته.

أولاً : العتبات المكانية:

يقصد "بالعتبات النَّصيَّة" : مجموعة العلامات التي تعد بمثابة مداخل تسبق المتن النصي، ولا يكون له دلالة مكتملة إلا بها، ومن هذه العلامات بالإضافة إلي غلاف الرواية العنوانُ الرئيس، والعناوين الفرعية الداخلية للفصول، والمقدمة، وكل ما يتعلق بالمظهر الخارجي للكتاب: كالصورة المصاحبة للغلاف، وكلمة الناشر على ظهر الغلاف، وكلها عناصر توجه قراءة النصوص الأدبية، وتسهم بدور كبير في إثراء تأويل المتلقي لها(٢).

والقارئ لرواية "موت صغير " يتبين له أن الكاتب قد وضع العديد من العلامات والموجهات والإشارات، فبالإضافة إلى فضاء غلاف الرواية الأمامي، هناك العنوان الرئيس، والعنوان الفرعي، والتعيين التجنيسي، واسم المؤلف، والإهداء، والإحالات، وصفحة الغلاف الخلفي، ومن بين تلك العلامات والموجهات

---

(١) باختين، ميخائيل، الكلمة والرواية، ترجمة يوسف الحلاق، (دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٨٨)، ص:٦٥.

(2) Genette, Seuils dition du seuil, paris, 1987,p: 12

التي اشتمل عليها البناء الفني لهذه الرواية: الغلاف ، والعنـــوان ، والإهـــداء ، والهوامش، وسيتم تناولها بالبحث فيما يأتي:

أ ـ فضاء الغلاف:

يقوم الغلاف بدور حيوي في الإيحاء بمسار النصوص الأدبية واتجاهاتها الدلالية، وهو مجموعة من العناصر والدوال التي تتضافر للتمهيد – منذ البداية– لأجواء الرواية وحركة نصوصها، وهو أول ما يجذب انتباه الملتقي إلـــى قـــراءة النص، كما أن صورة الغلاف الأمامي وما تحتوي عليه من مكونات تشكل فضاء روائياً حيويًا يتنفس فيه القارئ والنص معاً.

أما اللوحة المرسومة التي يتشكل منها غلاف الرواية الأمامي، فهي من إبداع الرسام سومر كوكبي ، ويبدو أن كاتب الرواية قد عهد إلى هذا الرسام أن يرسم الغلاف لهذه الرواية، أو أنَّ هذا الفنان قد قرأ الروايـــة قـــراءة جيـــدة، أو أصغى إلى كاتبها، ورسم إثر ذلك لوحة الغلاف التي استوحى صورتها من أحداث الرواية، ومن فكرة مؤلفها، وما يرمي إليه من ورائها؛ "؛ لأنَّ صورة الغلاف قد تضيف شيئاً على النص، وقد تختزل النص كدلالات مكثفة"[١] ، وبهـــذا يتكامـــل عمل الروائي مع الرسام المبدع واضع العلامات الخارجية للرواية، فالغلاف جزء من دلالة الرواية، إنه قوس دلالي يحتضن نصوص الروايـــة، ويحـــدد بؤرتهـــا الدلالية.

(١) رشوخ، أحمد، جمالية النص الروائي: مقارنة تحليلية لرواية" لعبة النسيان"،(الرباط: دار الأمان،١٩٩٦)، ط ١، ص: ١٣.

وتضع اللوحة المرسومة بين يدي القارئ أصنافاً متنوعة من المشاهد التي تحمل من المعاني والدلالات ما شاء لها الرسام أن تحمل، وهي تفيض بالإشارات والإيماءات الموحية بالرؤى والانفعالات.

ب ـ عنوان الرواية:

يعد العنوان من أهم عناصر العتبات النَّصيَّة وملحقاتها الداخلية؛ لكونه مدخلاً أساسياً في قراءة الإبداع الأدبي والتخييلي بعامة، والروائي بخاصة، ومن المعلوم كذلك أن العنوان هو عتبة النص وبدايته، وإشارته الأولى.

فالعنوان هو الذي يوجه قراءة الرواية، وهو "المفتاح الذي به تحل ألغاز الأحداث وإيقاع نسقها الدرامي وتوترها السردي، علاوة على مدى أهميته في استخلاص البنية الدلالية للنص، وتحديد ثيمات الخطاب القصصي، وإضاءة النصوص بها"(١).

من يتأمل رواية "موت صغير" يجدها تهجس بالمكان من خلال عنوانها، فالعنوان هو الذي يحمل دلالات وإيماءات عدة تهب المكان سمات محددة بإطاراتها الاجتماعية والوطنية والنفسية، إن عنوان الرواية يحقق هوية النص، حيث تنشأ علاقة بين العنوان والمضمون؛ تبرز جمالية المكان الروائي، وتقدم دلالات موحية تثير المتلقي منذ الوهلة الأولى، وتأخذ بيده نحو هاجس التوغل في كنه العمل الأدبي.

(١) ليفي، شعيب، النص الموازي للرواية، إستراتيجية العنوان، مجلة الكرمل، ١٩٩٢ ، مجلد٤٦ ،قبرص، ص: ٨٢ – ٨٩.

وتبدو هيمنة المكان في عنوان الرواية جلية واضحة، فهو يتكون من جزأين: عنوان رئيس هو "موت صغير"، وعنوان فرعي هو" الموت " .

فعلى الصعيد البصري يحتل العنوان مساحة واسعة في لوحة الغلاف؛ الأمر الذي يوحي بأهميته، بوصفه عتبة نصية لها فلسفتها الخاصة.

أما العنوان الرئيس: فهو مركب إضافي يتكون من عنصرين دالين أحدهما: الفناء وهو يتضمن معنى الحزن والألم والقهر والدموع، والآخر: صغير، وهذا الدال يفتح مجالاً واسعاً للتأويل، ويحمل دلالة تعبر عن ابن عربي : أهم شخصيات الرواية ، وهو يحمل معنى قصر الحياة وعنوان الرواية بهذه الصورة يوحي بأن ثمة اشتباكاً بين البعد المعجمي والبعد الدلالي لهذه العبارة.

ثانياً: الكوخ مكاناً روائياً:

قدم علوان في روايته "موت صغير" أنموذجاً للمكان الريفي ، وهو الكوخ ، وجعل منه النقطة المحورية للعمل الروائي برمته، وقد أضاء الكاتب من خلال تصويره لهذا المكان(الكوخ) الأبعادَ الاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة ، والسياسيَّة ، والدينيَّة.

وقد افتتح علوان روايته برسم صورة للمكان الذي ستدور فيه الأحداث الأولية للرواية ، وتتحرك فيه الشخصيات، إذ يبدأ إيقاع الرواية [1].

ترسم هذه اللوحة الافتتاحية للرواية ملامح الحياة في الريف التي تشكلها مجموعة من العناصر: الطبيعة القاسية في فصل الشتاء، والاجتماعية "

(١) يوسف، آمنة، تقنيات السرد،(دمشق:دار الحوار للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧)، ص: ٨٩.

هذا كوخ مُسنم في أعلاه. إذا اضطجعت فيه لأنام اضطجعت على ميل لفرط ضيقه، وإذا وقفت خنقني دخان النار الذي يتجمع في سنامه ويحجب سقفه"

وتبرز وظيفة الاستهلال في الرواية في كونه تعريفاً وتحفيزاً روائياً للحدث، وتقديماً إجمالياً، وهو يتضمن مجموعة من المكونات تتمثل في إبراز الشخصيات الروائية: رئيسة كانت أو ثانوية؛ وتحديد الفضاء الروائي والتمهيد للحدث الرئيس الذي ستنصب عليه الرواية في العرض، وهو "يقوم بدور هام في بناء النص الروائي وتحبيكه: تمطيطاً وتشويقاً وإثارة للمتلقي، فهو يهدف إلى تقديم الأحداث والتمهيد لها: إما تأطيراً وإما تبياناً للجو الذي ستنجز فيه الوظائف السردية، إذ يتدخل الراوي ليعرف لنا المكان الروائي بما فيه المكان والزمن اللذين من خلاله يفتتح السارد سرده، وغالباً ما يقع في الفصل الأول من الرواية، ويضفي على العمل وحدته النصية الكلية"(١).

وقد يتلون المكان بنفسية الكاتب أو الشخصية، فعلوان يتأمل الكوخ، ويحاول أن يضفي مشاعره على المكان، وكأن المكان كائن حي يشعر بمشاعره هو، يقول مبرزاً جماليات المكان من حوله :" اذا خرجت منه بدت السماء من أمامي كأنها قطع ساقط بتعامد مع الأرض تماما "(٢) .

المتأمل في رسم هذا المشهد يتبين له أن المؤلف وظف لغة مكثفة موحية، بوصفها واحدة من عُمَد وسائل التشكيل الفني للعمل الروائي؛ ليصوغ بها أفكاره ويجسد رؤيته الإنسانية، ويكثف إحساسه في صورة مادية، يستشعرها من حوله، وتتجلى من خلالها البيئة، وتظهر الأحداث وفق تسلسلها المقدور حيثما أراده الكاتب.

---

(١) يورنوف، رولان ،أوثيلية، رويال، عالم الرواية، ترجمة نهاد التكرلي،(بغداد: دار الشؤن الثقافية العامة، ١٩٩١)، ص: ٤٢.

(٢) حسن علون ،موت صغير ، ص١

فهذه اللوحة بكل ما فيها من زوايا وصف مباشر أم مجازي عبر كلمات يبلور المكان بمتعلقاته المختلفة من حيث الشكل والحركة واللون والنوع ـ تنسجم وحالة الصبية النفسية؛ الأمر الذي يؤكد أن ثمة علاقة بين المكان والشخصية.

دلالة الكوخ في الرواية

وتبدو مفردات البيئة الرّيفية أكثر مفردات المكان حضوراً في رواية "موت صغير "، إذ يمثل عالم القرية لدى الكاتب فضاءً أثيراً حيث تتخذ الرواية بدايتها من موقع جوهري في الدلالة على ابن عربي، وله حساباته ضمن بناء الرواية، وهو صفة الزهد ، والخلوة ، والتعبد، وذلك في سكناه في كوخ صغير في أذربيجان، مفتتحا على ضوء مصباح شاحب كتابة سيرته بإعلان قصده إليها: «حتى إذا اختلف الناس في أمري وجدوا ما يحتجون به في شأني. والزهد الصوفي، هكذا، هو قرين الحرية التي تأخذ موقعا جوهريا أيضاً في أدبيات التصوف، وهو موقع حرصت الرواية على إبرازه، في حياة ابن عربي، منذ مخالفته درب أبيه ونفوره من العمل في بلاط الملوك. إلى موقفه النقدي من استعانة ابن مردنيش ملك مرسيّة بالفرنجة ضد الموحدين، وفتوى ابن عرجون بجواز ذلك.

وهو الموقف الذي مضت الرواية إلى إبرازه، في نقده استبداد دولة المرابطين واتخاذه إياه علة لانهيارها. وفي العلاقة التي يعقدها بين ضيق الأرزاق وانعدام الأمل وتبرير الناس لأنفسهم كل عمل سيئ بدعوى الاضطرار والضرورة. وفي ضيقه بالحياة في إشبيليا بسبب أوامر الخليفة ونواهيه، وكُتُب الظاهرية التي لا تحرك – فيما قال– قلبا ولا عقلا.

ولا يبدو موقف ابتهاج لابن عربي، ضمن حفاوة الرواية بموقفه من الحرية، أوضح من إقامته في دمشق، في كنف الملك المعظم عيسى، إذ اغتبط في إقامته هذه بالتعايش بين المختلفين، وهو يصف ذلك بقوله:

" في دمشق فسحة في اختلاف الرأي وتنوع في مشارب الناس. في كل حي مدرسة لهذا المذهب أو ذاك. ترددت بنفسي إلى مدارس كل مذهب متى استغلقت عليّ مسألة، فزرت الشوافع في المدرسة الأتابكية والحنفية في المدرسة البلخية وزوايا المالكية في الجامع الكبير والحنابلة في المدرسة العمرية». ولا تكتمل قيمة الحرية من دون قيمة الإنسان، فإذا كانت الفسحة للمختلف مجلى للحرية، فإنها أيضا مجلى للنزعة الإنسانية التي تأبى التمييز، وتلميذ ابن عربي ومريده بدر الحبشي، الرقيق الذي أُعتق ، ثم تبعه في حياته كلها، محفوفاً برعايته، وبكاء ابن عربي عليه بعد وفاته، جانب من الجوانب اللافتة إنسانيا. وهو جانب يتكامل مع موقف ابن عربي من المرأة، في قوله: «في المرأة يكتمل ظهور الحقيقة» وقوله: «إن الإنسانية لما كانت حقيقة جامعة للرجل والمرأة لم يكن للرجال على النساء درجة من حيث الإنسان « لكن الرواية لا تقف بابن عربي عند هذا الحد، حد الحكمة والإرشاد، وحد السكون والعزلة، فهي تتخذ منه، كما هي حقيقته التاريخية، شخصية إشكالية فكريا وعقديا وأخلاقيا، شخصية مثيرة للجدل، ومصادمة الفقهاء والمتكلمين، بقدر مصادمتها الساسة وأصحاب السلطان، وبقدر مصادمتها العقل والفلسفة والأخلاق.

وقد انطوت الرواية من هذه الوجهة على تعارض ظاهر مع ابن عربي داخل نص الرواية، أو مضمر على خلفية الموقف العقدي والعقلاني منه، ومن الصوفية عموماً. لا سيَّما والرواية وقارئها على وعي أنها لا تتفرد بحديثها عنه؛ فكُتبه وكتب الصوفيين عنه، مقابلة للكتب التي هاجمته ونقدته، والكتب التي ترجمت له ودوّنت سيرته.

ففي دمشق يدعوه قاضي القضاة ويسأله: «كيف يمكن أن يفهم العامة أن فرعون مؤمن؟ كيف يفهمون أن الله والوجود واحد؟ كيف يفهمون أن الألوهية تسري في جميع المعبودات حتى الأوثان». وتنهي الرواية هذا الموقف بقرار ابن عربي ألا يجيب.

وإذا كانت الرواية هكذا تضع الجانب الإشكالي دونما مواربة أمام القارئ، فإنها تثير لديه أسئلة في مواقف أخرى عن ظاهرة التصوف من حيث هي ظاهرة مجموع لا فرد، ومن ثم عن ابن عربي بوصفه شخصية غير بريئة من السياسة، بل هو واع بذلك في حديثه للملك المعظم: «لقد آوى السلاجقة المتصوفة عن حب واقتناع، وآواهم الأيوبيون ليدفعوا بهم أذى المتشيّعة»، وقوله في الموقف نفسه: «كل المذاهب هنا، كلها لأجل السياسة " .

أما التعارض مع العقل والأخلاق فنشهده في ما ينبث في الرواية من دلالات على سلطة الشيخ المطلقة على مريديه وتقديسهم له، والتهميش للعقل وتحقيره الذي اتصل رأيه في الفلاسفة به، فبدا ألمُه على عذابات ابن رشد اعتقادًا منه أنَّه سبب فيها.

ويضاف إلى ذلك ما تؤكد عليه الرواية من التمثل الشامل لجبرية قدرية صارمة، و«التواكل» على الله، وما ينتج عن ذلك من الدروشة وترويج قيم سلبية تجاه العمل والجسد والعلم المادي، وتنصُّل من المسؤولية ينتهي -على نحو ما نعرف- إلى اللاأخلاقية وسقوط التكاليف والواجبات عن الأولياء. والرواية بهذه التعارضات التي تؤشكل بطلها، تؤشِّر إلى تعارضات الواقع وإشكالاته، تلك التي يقع ابن عربي في قلبها وفي الضد منها معا، تضطرب متراوحة بين دروشة التصوف وتواكليته وبين عنف التعصب والاستبداد.

البرزخ

البرزخ هو : العتبة الفاصلة والواصلة بين مكان ومكان، إنَّه مكان عبور لا ينتمي إلى مكان الانطلاق كما لا ينتمي إلى مكان الوصول. ولذلك فهو ليس مكاناً ما دام ليس محل إقامة. وإذا كان البرزخ في القاموس الديني هو المكان الفاصل بين الموت والبعث؛ الشيء الذي يسمح للمقيمين فيه براحة خاصة، فإنه في قاموس الرواية مكان خاص يجبر المرء على الإقامة فيه لسبب أو لآخر.

حق للشيخ الأكبر والكبريت الأحمر محي الدين بن عربي أن يواصل سرد حياته في رواية محمد حسن علوان "موت صغير" إلى أن يصل مماته ويخبرنا هو ولا أحد إلاه بما يسمع ويشهد وقد انتهت حياته، "ما أسهل حياة البرازخ. أن تتأمل الحياة وأنت مجرد من الإرادة. لا تفعل. ولا تنفعل. يحملك رجل وامرأة إلى بيت غريب. يجسانك ويحوقلان ثم يحجبان عنك العالم بعباءتك. تحملك المحفّة إلى بيت مألوف. أسمع أصواتهم وأشم روائحهم. وإذا تحرك جفناي المسدلان لمحت وجوههم الباكية. صفية تبكي ترمّلها للمرة الثانية.." يحق لابن عربي – أكرر– فهو لا يفنى أو كما يقول لنا السطر الذي يتصدر الفصل الأخير من الرواية "كل بقاء يكون بعده فناء لا يعوّل عليه "إنها رواية تدور بين برزخين، بين ولادة وموت،."

بين هذين البرزخين يعيش وابن عربي يقول : "كانت الأرحام أوطاننا فاغتربنا عنها في الولادة" بينما نقرأه راوياً في رواية علوان : "أعطاني الله برزخين: برزخ قبل ولادتي وآخر بعد مماتي. في الأول رأيت أمي وهي تلدني وفي الثاني رأيت ابني وهو يدفنني. رأيت أبي يضحك مستبشراً ببكره الذكر وزوجتي تبكي مفجوعة في زوجها المسنّ. رأيت فتيل دولة المرابطين يطفئه الموحدون في مرسيّة قبل ولادتي، ورأيت التتار يدكّون بغداد دكاً دكاً بعد مماتي.

رأيت الأولياء يستبشرون بمولد سلطان العارفين والفقهاء يكبّرون لهلاك إمام المتزندقين. رأيت كل هذا بكشف الله الأعمّ ونوره الأسنى في سنوات قليلة بين برزخين. فانكشفت لي سرعة عبوري وضرورة فنائي في هذا العمر الذي ليس سوى سطر في رسالته الإلهية، لمعة شهاب في سمائه العلوية، أثر خفٍّ في أرضه الواسعةابن عربي ميتاته الصغيرة هو القائل "الحب موت صغير" وعنوان الرواية لا يورد "الحب" ليدع للقارئ استكشاف هذا الموت الصغير الذي يحدثه الحب، جسداً وروحاً، حب إلهي لا ينفصل عن ذاك الذي يوصف بالدنيوي، فهو شيخ الحب كل الحب "إلهي ما أحببتك وحدي، لكن أحببتك وحدك " .

من حسن حظ القارئ العربي أنَّ روائيًّا مثل : علوان قد صيّر ابن عربي شخصية روائية، وتجرأ أن يقدّم روايته، فاللغة العربية التي تتعرض لما تتعرض له من ركاكات تهب من جهة الروايات المنشورة هنا وهناك، طيعة لديه، لئلا أقول ساحرة، يأخذ علوان بتلابيبها ويطوعها سرداً يمكن تلمّس قوته مع "القندس" و"طوق الطهارة" وغيرها من رواياته السابقة التي تجتمع على أنه سليل الجاحظ وابن المقفع وآخرين من ناثري اللغة العربية الكبار، ولتكون لغته في "موت صغير" متداخلة بنثر ابن عربي، تشّف وتتدفق في سياق سرد أفقي يبدأ من الولادة إلى الممات – كما أسلفت – وبصيغة المتكلم (ابن عربي يروي لنا حياته) ولا يتعامد معها إلا تتبع "المخطوط" في أسفار الرواية الاثني عشر، وكل سفر منها ينتهي بأخبار المخطوط الذي يتحرك في الزمان والمكان إلى أن يصل حماة الثمانينيات في سورية، ومن ثم سورية اللجوء والدمار والمخطوط محمولاً إلى بيروت من قبل لاجئ سوري .

تنبني الرواية في هذا السياق مبتعدة عن التهويمات والمبالغات والتي يمكن لها أن تكون محط غواية ونحن نتكلم عن رمز صوفي، إذ لا ينفصل السرد عن التاريخي، وتلك القلاقل والفتن والحروب لا تفارق حياة الشيخ الأكبر منذ الولادة في مرسية (الأندلس) التي سرعان ما تصبح محاصرة وصولاً إلى دمشق الأيوبية، وحياة ابن عربي تمضي جنباً إلى جنب مع الخلفاء والحكّام والملوك، في بحثه عن أوتاده الأربعة في أشبيلية وفاس ومكة والقاهرة وبغداد ودمشق.

لا يُقدّم ابن عربي في "موت صغير" في سياق مؤسطر، فأنسنته أجمل أسطورة، فهو شخصية روائية تتطور في سياق السرد، لنا أن نعرف مصادره وعلومه، لا أن نقع عليه عليماً، وما يكشفه له الله يأتي في سياق يتطور فيه، له أن يبدأه بالخمر، مؤكداً مجدداً أن "الحب" الكلمة المفتاحية في الرواية، ولقصة حبه لنظام في مكة أن تكون ذروة حبه الأرضي والسماوي و"ترجمان الأشواق" شاهد عليه.

يمكن القول : إنَّ علوان ينجح تماماً في أخذ القارئ إلى حياة ابن عربي وفترته التاريخية من دون انغماس في آرائه وأفكاره ما لم تأت في سياق السرد والأحداث، وما تعرض له من اتهامات من قبل الفقهاء بوصفه "ولياً وزنديقاً"، وإن كان هذا انتصاراً للروائي في الرواية إن صح الوصف، فإنه يشكل في الوقت نفسه نأيا عن الاشكالي في فكر ابن عربي الذي نتعرف عليه من دون الغوص فيه أو ايراد ما اعتبر زندقة أو تجديفاً لديه، مع ذلك فنحن حيال رواية ضرورية والحاجة إليها ماسة ليس لقيمتها الأدبية فقط، بل لضرورة نشر هكذا مقاربة للدين الإسلامي وتعميمها، حتى وإن كانت لا تظهر شطحات شيخنا الأكبر المشحونة بنزعة تمردية في لبوس صوفية.

القبلة

نجح علوان في تصوير القبلة في الرواية حيث قال ابن عربي : "رفع مؤذننا آذن الفجر على أعتب أشبيلية فولياها هورنا جميعا مستقبلين القبلة لنصلي[١] وفيه دلالة على تدين ابن عربي وتقواه

حيث كان ابن عربي يرى مكَّة مفتاحاً لأقفاله : (كنت أظن مكَّة مفتاح الروح الذي سعيت إليه من أقصى الأندلس . فتكون المباغة أن المكَّين الأنثوي سيوسق الفضاء كله وينير بئر العارف الأكبر ويمتحها فتنبجس مياه عذراء لا عهد للعارف بها وحين يتذوق قطرات ٍ يكون المولع حد الأحتراق ..(أشعلت نظام في صدري مصباحا رأيت ُ على ضوئه زوايا في هذا القلب لم أرها من قبل، أركاناً موحشة ، غرفا موصدة، سراديب تراكمت فيها مشاعر لم يتسن لها أن تخرج إلى الحياة التي أعيشها.)..كأن الأنثى نظام وهبت إبن عربي طاقة الغوص في مغاليق نفسه العميقة .وإطلاق مافي مغاليقه نحو السطح ليرها ويلمسها وخطوتها الثانية تتجسد أن نظام ذاتها سكنت أعماق ابن عربي وصارت زمنه الكلي ..(سكنت خيالي كل لحظة من يومي وليلتي [٢]

استمد محمد حسن علوان في النص منظوره من تصورات صوفية، تتحدث عن شوق الإنسان إلى معرفة مرغوبة تقوده من مكان إلى آخر، وعن حيرة المشتاق، السائر من غربة إلى أخرى، ونشوة الحب، التي تختصر الوجود في محب ومحبوب، يفترقان في نهاية الطريق. وعلى الرغم من طريق مجذوب إلى نور ساطع «لا يرى»، فالإنسان الجوهري مسكون، صوفياً، بالحيرة والحزن: «طوبى لمن حار»، يقول ابن عربي : و «الحزن إذا لم يصحب الإنسان دائماً لا

(١) محمد حسن علوان / موت صغير/ دار الساقي/ بيروت/ ٢٠١٧، ص١٧ .
(٢) محمد حسن علوان / موت صغير/ دار الساقي/ بيروت/ ٢٠١٧، ص٣١٢

يعوّل عليه»، يقول أيضاً، كما لو كانت الحيرة الحزينة جوهر الإنسان. صاغ المتصوف بلغته مفهوم «الاغتراب الروائي»، الذي يأخذ بيد الإنسان إلى طريق، ويدعه يتابع طريقاً لم يختره.

ترجم الروائي الذي احتفى «ببطله الروائي» إلى تخوم التماثل، موضوعه بمقولات متكاملة: السفر، الفقد، البحث، الحب، والأفول، ذلك المأسوي الشاسع الذي يحتضن البشر والأمكنة. يتوّج السفر مقولات المتصوف المغترب، ففيه بحث عن «عارف دليل»، «وتد» بلغة المتصوف، يتقاسم مع الباحث عنه الكشف والتعارف والعرفان، وفيه سير مرهق غامض إلى «نور أعلى»، يراه القلب ولا يسفر عن وجهه.

يوحد الصوفي في مساره، على مقربة من مصير البطل الروائي، بين الألم والفقد، فلا راحة إلا بلقاء «المحبوب»، الذي هو قريب وبعيد في آن. والمتبقي هو الحيرة، التي تسير مع الباحث عن الحق من فصل إلى آخر، وتنصرف من دون أن تعطي جواباً أخيراً، فكل ما هو أخير لا يؤّل، وما لا يؤّل لا يعوّل عليه، بلغة ابن عربي، حالة من حال الواضح الكامل، الأقرب إلى الموات.

أقام علوان روايته الواسعة الصفحات على تقابل الروحي والتاريخي، إذ ما تنشده الروح لا ينصت إليه التاريخ، أو على مقابلة الزمني والإلهي، إذ في الأول «كون صغير» وفي الثاني أكوان لا تخوم لها، وإذ بين الطرفين علاقة بحث مباركة موجعة عنوانها :«الذي يأتي ولا يأتي»، و«ما يعرف ولا يعرف»، فروح الإنسان، (الباحث عن أسرار الخالق والمخلوق)، أضيق من إجابات «تتلامع» وتظل مستسرة. ولهذا يتكشف ابن عربي في «موت صغير» بطلاً إشكالياً، بلغة لوسيان غولدمان الموروثة عن لوكاش الشاب، يقف على أبواب الأسئلة ولا يدخل عالم الإجابات إلا قليلاً، «فما خفي الحق إلا لشدة ظهوره»، يقول ابن عربي.

يتطلع البطل الإشكالي، تعريفاً، إلى عالم لا يتحقق، وقد يصبح تطلّعه الإيماني تجربة لا يعوّل عليها، بسبب ظلال: «الفناء»، التي تلازمه من البداية إلى النهاية. يقول ابن عربي في استهلال الفصل الأخير- ص ٥٨٥: «كل بقاء يكون بعده فناء لا يعوّل عليه، ويقول في استهلال آخر: «ما حياتي بعدكم إلا الفناء»، كما لو كان في قوليه ما يقوّض «المعارف»، التي انتهى إليها بعد حيرة وسفر.

واجه حسن علوان قضايا الرواية التاريخية، المفروضة عليه، بحلول جمالية متعددة المناحي. فإذا كان الزمن التاريخي مستقيماً وأحادي الاتجاه، تعريفاً، يقلق الكتابة الروائية ويكاد يفقرها، فإن الروائي الموهوب حاصر «الإقلاق» وروضه، حين أذاب الزمن المستقيم في زمن «نفسي» منفتح الاتجاهات. ولعل هذا الحل الجمالي هو الذي اقترح عليه مفهوم «عتبات الكتابة»، التي تمثلت في «سيرة المخطوطة» الموزعة على أكثر من مكان وزمان: أذربيجان ٦١٠هـ/١٢٥٩م، المخطوطة في دمشق ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، المخطوطة في الكرك ٧٠٨هـ/١٣٠٩، المخطوطة في حماة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ وصولاً، بعد المرور على القاهرة ومكة بعد روما ومالطيّة، إلى المخطوطة في بيروت ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م،... أعطى المؤلف للمخطوطة سيرة تخصها متعددة الوظائف «فهي تصف روح الزمان التي يخترقها الخراب والتقاتل في مدن عربية عدة وتتراءى فيها صورة ابن عربي عند آخرين يجلّون معارفه، وتشكل «نواة الحكاية» السائرة وراء حياة المتصوّف الكبير، تنتقل من يد إلى أخرى، الى أن تنتهي في بيروت في العقد الثاني من القرن الذي نعيش.

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

الخاتمة

الخاتمة

ربَّنا عليك توكَّلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ، اللَّهُم إنِّي أسألك حسن الخاتمة وسلامة النِّيَّة ، اللهم ربَّنا اغفر لى زلَّة القلم إنَّك يا مولانا نعم المولى ونعم النَّصير ، وأنت على كل شئ قدير .

وبعد ،،،،،،

لقد سرد علوان حياة متصوف انبهر به، فأعاد توليد المقولات الروائية، التي تضمنت: السارد الأول (ابن عربي) الذي يحكي حياته في أطوارها المختلفة، طفولة وصبا وكهولة وشيخوخة آفلة، وموتاً مضيئاً رأى فيه ابنه يهيل التراب عليه. والسارد مركز لغوي يُنطق، بأشكال مختلفة عقله وذكرياته وروحه، واصفاً الواقع ومضاعفه، منتقلاً من زمن تاريخي إلى آخر مختلف عنه، ومن مكان إلى آخر يغايره. لا غرابة أن ينطوي الخيال الروائي، الذي يسائل ما قبل الأبدان وما بعدها، على صيغة المتعدد، في مستوياته المختلفة، فيمر من إشبيلية إلى المغرب، فالقاهرة ومكة بعد أن يمر بحلب والشام، يرتاح في بغداد، ذاهباً إلى مالطيّة، عائداً إلى دمشق. ومع أن شخوصه المختلفة، تسهم في حركة الفعل الروائي وتحديد أزمنته، فهذه الشخوص مرايا أحوالها التي تفصح عن: الحب، الخوف، الفقد، الهرب، العشق والنسيان، كما لو كانت مرايا للكون الصغير، بحسب ابن عربي.

أنجز محمد حسن علوان، بتفوق لا تخطئه القراءة، أمرين أساسيين: مجانسة النص منظوراً ولغة، فنظر النص من أزمنته، المضطربة المتدافعة، ولغته من لغة موضوعة، القائمة على البوح والصور والإشارات ولهاث الروح المتطلبة، التي تغترب وهي تبحث عن نور أعلى وتغترب كلاماً وهي تحدث عنه، فما لا يرى يجعل الكلام عبئاً ثقيلاً. والأمر الآخر ترهين النص التاريخي، كتابة وقراءة، فالمخطوطة، هي وسيلة فنية، تمتد من زمن قديم إلى الزمن الراهن

والنص، في أصواته المتعددة، يحيل إلى ما نعيش اليوم. نقرأ في نهاياته: «يا إلهي، أعوذ بالله من طغيان الطغاة»: «فمن العدل إذا ما أردنا أن ندفع عن المتصوفة أذى الفقهاء، وأن يعتدل المتصوفة في أقوالهم ويكفوا عن استفزاز العامة». والمتصوفة هم الباحثون عن الحقيقة، والفقهاء هم ألسنة السلطة الباحثون عن منافعهم، و«العامة» أدوات تنتجها السلطة لمحاربة العلم ونسيان الحقيقة.

عثر محمد حسن علوان على حلول جمالية لقضايا الرواية التاريخية، التي تغوي بنسق من الحكايات البسيطة، مستكملاً جهداً نبيلاً بذله، ذات مرة، المصري الراحل جمال الغيطاني في عمله الأشهر: الزيني بركات، والمغربي اللامع سالم حميش في روايته عن «ابن سبعين».

ويختتم علوان الرواية بالرجوع إلى البرزخ مرة أخرى "كانت الأرحام أوطاننا ، فاغتربنا عنها بالولادة ، أعطاني الله برزخين، برزخ قبل ولادتي و برزخ بعد مماتي، في الأول رأيت أمي و هي تلدني و في الثاني رأيت إبني و هو يدفنني."

إن الرواية كانت فتح امتداد لفتوحات ابن عربي نفسه المكية، فقد اتخذ الكاتب من ابن عربي محور لروايته لينوّرنا بنوره الرباني العظيم، وكل ذلك لنجد الحقيقة الثابتة في هذا الكون وهي الحب، وليس بغريب أن يعنون الكاتب روايته بعنوان : (موت صغير) وهو ما أسمى ابن عربي به الحب، نحب الجميع، المختلف عنا قبل المتفق معنا، العدو قبل الصديق وفي النهاية نتمنى أن نصل لربع ما وصل إليه ابن عربي وهو يقول:

لقد صار قلبي قابلًا كل صورة ∴ فمرعى لغزلان ودير لرهبان.
وبيت لأوثان و كعبة طائف ∴ وألواح توراة ومصحف قرآن.
ادين بدين الحب أنى توجهت ∴ ركائبه فالحب ديني و إيماني.

الفهارس

أولاً : فهرس المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية:

١. ابن منظور، لسان العرب ، ط٢، (بيروت : دار صادر ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م).

٢. اسم، سيزا ، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ،(بيروت: دار التنوير للطباعة، ١٩٨٥

٣. أمل طاهر نصير، فاعلية المكان في بناء القصيدة ،مجلة جامعة الملك سعود، جامعة الملك سعود، م١٥(١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م):

٤. باختين، ميخائيل، الكلمة والرواية، ترجمة يوسف الحلاق، (دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٨٨).

٥. بدرى عثمان. بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، ط١، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م

٦. حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي: الفضاء – الزمن – الشخصية، ط١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م

٧. د اعتاب بالخير ،مفهوم المكان في القصيدة العربية،مجلة الفكر العربي المعاصر، ع: ١١٤/١١٥، سنة:٢٠٠٠

٨. رشوخ، أحمد، جمالية النص الروائي: مقارنة تحليلية لرواية" لعبة النسيان"،(الرباط: دار الأمان،١٩٩٦)

٩. زكي، أحمد، دراسات في النقد الأدبي، (بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٠.

١٠.شلار، غاستون، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا،) بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٨٤)

١١.الضبع، مصطفى، استراتيجية المكان، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨)

١٢.غاستون باشلار، جماليات المكان ،ترجمة: غالب هلسا، ط٥، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠ م).

١٣.فاروق عبد المعطي. قرة أهل الحظ الأوفر في ترجمة الشيخ الأكبر للشيخ حامد العمادي (دار الكتب مجاميع

١٤.قويفلي، محمد، المكان الروائي في روايات غسان كنفاني نموذجاً، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب، ١٩٩٣، العدد٢ ، المجلد٥ ، الرياض

١٥.ليفي، شعيب، النص الموازي للرواية، إستراتيجية العنوان، مجلة الكرمل، ١٩٩٢ ،مجلد٤٦ ،قبرص

١٦.مجلة البلاغة المقارنة، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ع٦، ربيع ١٩٨٦م.

١٧.محمد الباردي. الرواية العربية الحديثة، ط١، اللاذقية، دار الحوار، ١٩٩٣م.

١٨.محمد حسن علوان / موت صغير/ دار الساقي/ بيروت/ ٢٠١٧

١٩.محيي الدين ابن عربي – حياته، مذهبه، زهده – جزء – ٤٩، سلسلة أعلام الفلاسفة

٢٠.وريمي، محمد، الفضاء الروائي في الغربة: الإطار والدلالة،(الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ١٩٨٥.

٢١.ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبـــي، (بغـــداد : دار الشـــؤون الثقافية العامة ،١٤٠٧ هـــ = ١٩٨٦م)

٢٢.يورنوف، رولان ،أوثيلية، رويال، عالم الرواية، ترجمة نهاد التكرلي، بغداد: دار الشؤن الثقافية العامة

٢٣.يوسف، آمنة، تقنيات السرد،(دمشق:دار الحوار للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧).

ثانياً : المصادر والمراجع الأحنبية:

Genette,. Seuils édition du seuil,(paris: 1987)

ثانياً : فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١	الإهداء .	٣٥٤٧
٢	المبحث الأول التعريف برواية " موت صغير " .	٣٥٤٨
٣	التعريف بالكاتب .	٣٥٥١
٤	المبحث الثاني أهمية المكان في العمل الروائي .	٣٥٥٩
٥	مفهوم المكان .	٣٥٦٠
٦	دور المكان في النص الروائي .	٣٥٦٢
٧	ملخص الرواية .	٣٥٦٨
٨	المكان في رواية " موت صغير" .	٣٥٧٤
٩	العتبات المكانية .	٣٥٨٠
١٠	فضاء الغلاف .	٣٥٨١
١١	عنوان الرواية .	٣٥٨٢
١٢	الكوخ مكاناً روائياً .	٣٥٨٣
١٣	دلالة الكوخ في الرواية .	٣٥٨٥
١٤	البرزخ .	٣٥٨٨
١٥	القِبلة .	٣٥٩١
١٦	الخاتمة	٣٥٩٤
١٧	الفهارس	٣٥٩٧
١٨	فهرس المصادر والمراجع	٣٥٩٨
١٩	فهرس الموضوعات	٣٦٠١

تم بحمد الله